

عفاف عبد الغفور حميد

آداب الحوار وضوابطه من خلال القصص القرآني

Abstract

In the Quran, the art of dialogue is one of the most refined ways of human interaction. To know the right manners of dialogue for different occasions, we must refer to Quranic stories, which are based on the art of conversing. Hence, this paper aims to deduce the manners and restrictions of dialogue from these stories. After the introduction, the first section of this paper is on the manners of dialogue from Quranic stories including topics relating to speaking with manners and wisdom, sticking to the topic, refraining from extremism and indifference, and being honest, trustworthy and humble while listening to other people. The second section is on the restrictions of dialogue in Quranic stories, such as setting up an objective; being just in the face of allegation; accepting the possibility of the opponent's righteousness in the presence of intellectual freedom; and avoiding over-reacting. This study finds that dialogue in the Quran addresses the difference between people and the importance of finding out the truth for the sake of Allah. It also indicates the existing struggles between good and evil and its reflection on the lives of the prophets and those who preach for the sake of Allah.

شروط النشر بالمجلة

١. تقبل البحوث بثلاث لغات (العربية والإنجليزية والماليزية) على أن يقدم الباحث ملخصاً بلغة أخرى غير لغة البحث
٢. أن تكون البحوث في إطار القرآن والسنة وعلومهما، والتاريخ الإسلامي والسيرة النبوية، وكذلك البحوث في إطار استخدام تقنية المعلومات في مجال القرآن والسنة، على أن تكون البحوث في مجال تخصص الباحث
٣. أن يلتزم البحث بالمحافظة على العقيدة الإسلامية، ولا يتجاوز الثوابت الشرعية، مع عدم الإساءة والتحريض للشخصيات والهيئات
٤. التزام البحث بالمنهج العلمي في توثيق المعلومات وخصوصاً التخريج للحديث النبوي، مع ضبط الآيات القرآنية.
٥. تقبل المراجعات والدراسات النقدية العلمية للكتب والبحوث المنشورة، مع ضرورة الالتزام بالمنهج العلمي في ذلك
٦. ألا يكون البحث منشوراً أو مقبولاً للنشر في مجلة أخرى، ولا مستلاً رسالة علمية (الماجستير أو الدكتوراه) أو ما يعادلها
٧. يتراوح عدد صفحات البحث بين (١٥-٢٠)، وحجم الصفحة (A4)، وحجم الخط ١٦ ، ونوع الخط Traditional Arabic والمسافة بين الأسطر ١,٥
٨. الهوامش أسفل الصفحة متسلسلة للبحث كله، وحجم الخط ١٢
٩. يقدم الباحث نسختين من البحث مع قرص الحاسوب (الدسكت
١٠. المجلة غير ملزمة بإعادة البحث وإرجاعه إلى صاحبه في حالة عدم نشره

ترسل البحوث على العنوان الآتي:

Chief Editor

JOURNAL MA^cALIM AL-QUR'AN WA AL-SUNNAH

Faculty of Quranic and Sunnah Studies

Islamic Science University of Malaysia

Bandar Baru Nilai, 71800 Nilai

Negeri Sembilan

Tel : 06 - 7988407

Fax : 06 - 7988530

Web Site: <http://www.usim.edu.my>

المقدمة

الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين، وبعد:

فالحوار من أكثر المفاهيم رقيا في التعامل بين البشر، وهو من المبادئ الأساسية في القرآن الكريم حيث نجده منذ اللحظة الأولى لخلق الإنسان متمثلاً في حوار الخالق مع الملائكة بشأن خلق آدم، وما ذاك إلا وسيلة تعليم أرادها الله تجربة عملية لبيان أهمية الحوار القائم على الأدلة ليضمن تسليم المقابل وضمان خلافة الإنسان على الأرض، على نحو مبدأ الشورى الذي أقره الإسلام، القائم كذلك على الحوار وتبادل وجهات النظر.

فالحوار يستمد أهميته وشرعيته من نصوص الوحي، فهو صلة الخالق بالخلق لأن الدعوة إلى الله والبلاغ عنه وظيفة الرسل وأتباعهم، والحوار هو أحد وسائل الدعوة والبلاغ، كما أنه وسيلة الوصول إلى الحقيقة والعلم، وحل خلافات الإنسان ومنازعاته

ومشكلة البحث هي في انعدام لغة الحوار وممارسته في المجتمعات الإسلامية بنسب متفاوتة، فهل في نصوص القرآن ما يدل على مبدأ الحوار ومشروعيته؟ وهل فيه ما يدل على آداب الحوار وضوابطه لكي تتحقق أهدافه وغاياته؟

ومن هنا جاء اختيار هذا البحث لما نراه من تجاوز مجتمعاتنا لهذا المبدأ، بل الميل إلى التطرف وإقصاء الآخر، وتعنت كل طرف لرأيه وفرض الرأي على الآخرين مما أوقع المسلمين في مشكلات كثيرة فيما بينهم ومع غيرهم، وإن وجدنا الحوار فهو بعيد عن الضوابط والآداب الشرعية فضلاً عن خلوه من الأهداف والغايات الصحيحة.

ومن هنا تأتي أهمية البحث بالإجابة على تلك التساؤلات فقد سجل القرآن الكريم نماذج من ذلك في مواقف ومجالات متنوعة تؤكد أن الحوار مبدأ أصيل في الإسلام يسعى لأهداف تربوية وخصوصاً حين يحقق الحوار أهدافه في التعايش بين المسلمين وغيرهم.

وقد أصبحت قضية الحوار من القضايا المهمة في حل المشكلات في عصرنا الراهن سواء على المستوى الداخلي في المجتمع الواحد، أو على المستوى الخارجي مع الحضارات والثقافات الأخرى، فهو يبقى مطلباً لا غنى عنه للإنسانية جمعاء.

وبما أن القرآن غني بالحوارات المختلفة، وأنه من الخالق البصير بطبائع البشر فلا بد من استلهاً الآداب والضوابط والأسس القويمية التي ينبني عليها الحوار ليكون لنا الأساس الذي نعتمد عليه في هذه القضية المهمة، وخصوصاً إذا ما لاحظنا أن جلّ هذه الحوارات جاءت في القصص القرآني، فاختص البحث ببيان ذلك من خلال القصص القرآني، من أجل مراعاتها للوصول إلى جمع الكلمة ووحدة الصف بين المسلمين وتجنب التصادم مع غيرهم، وجعل ذلك المبدأ ثقافة إسلامية يمارسها المسلمون في الأسرة والمجتمع.

وعلى هذا جاء هذا البحث في مبحثين يتقدمهما تمهيد على النحو

الآتي:

التمهيد: مفهوم الحوار وأهميته ومشروعيته.

المبحث الأول: آداب الحوار في قصص القرآن.

المبحث الثاني: ضربات الحوار في قصص القرآن.

الخاتمة: نتائج البحث.

التمهيد: مفهوم الحوار وأهميته ومشروعيته

١- لفظة الحوار ومعناها ومرادفاتها:

وجود لفظة الحوار ومرادفاتها في لغة العرب والقرآن الكريم يؤكد مفاهيم أصيلة في التراث الثقافي العربي الإسلامي ففي لسان العرب الحوار هو الرجوع، وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام، والتحاور هو التجاوب والمجاوبة، والحوار هو الرجوع عن الشيء وإلى الشيء^١، والمحاورة مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة، بل إنه ليدهشنا حيناً أن يكون من أسماء العقل في اللغة العربية الأحر^٢.

والحوار كلمة تستوعب كل أنواع التخاطب وأساليبه سواء كانت منبعثة من خلاف بين المتحاورين أو عن غير خلاف، لأنها إنما تعني المجاوبة والمراجعة في المسألة موضوع التخاطب... فإن الحوار لا يمكن أن يكون إلا بين أطراف متكافئة تجمعها رغبة مشتركة في التفاهم، ولا يكون نتيجة ضغط أو ترغيب لذلك كان الحوار أعم من الاختلاف ومن الجدل، وصار له معنى حضاري بعيد عن الصراع، إذ الحوار كلمة تتسع لكل معاني التخاطب والسؤال والجواب^٣.

وقد ورد لفظ الحوار في القرآن في ثلاثة مواضع، اثنان منها في صيغة الفعل وهما قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِسَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ وقوله: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا﴾ الكهف: ٣٤، ٣٧، أي يراجعه في الكلام، وجاء

١ انظر: ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. ١٩٩٧م. لسان العرب. بيروت: دار صادر. مادة (حوار) ج ٢ ص ١٨٢.

٢ التوحيدي، عبد العزيز. ١٩٩٧م. الحوار والتفاعل من منظور إسلامي. إيسيسكو. ص ٩. انظر: ابن منظور. لسان العرب. (مادة حوار) وجاء فيه: عن ابن الأعرابي: أبو عمرو: الأحر: العقل، وما يعيش فلان بأحر أي: ما يعيش بعقل يرجع إليه. ج ٢ ص ١٨٣.

٣ العليان، عبد الله علي. ٢٠٠٤م. حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص ٩.

بصيغة "تجاوز كما" من المصدر تجاوز في قوله: ﴿فَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ المجادلة: ١، أي إن الله سميع لما يتجاوبانه ويتحاورانه، وغير ذلك من كلام خلقه بصير بما يعلمون^٤.

ويعرف الحوار بأنه نشاط عقلي يقدم كل طرف فيه رأيه بحرية تامة ليصل في النهاية مع الرأي الآخر إلى اتفاق، أو أنه عمل مشترك بين عقليين أو أكثر من أجل الوصول إلى الحقيقة^٥، وهو: "مخاطبة بين اثنين يسعى كل طرف فيها إلى بيان ما معه من الحق لأجل إفهام صاحبه وهدايته بالحجة والدليل^٦، علما بأن الحوار لا يصل دائما إلى الاتفاق بل هو تبادل في وجهات النظر، مع فرص متكافئة للمتحاورين.

ويمكن استخلاص أركان الحوار فيما يأتي:

- ١ - طرفا الحوار.
- ٢ - موضوع الحوار.
- ٣ - هدف الحوار، وهو إظهار الحقيقة، أو تحقيق التقارب بين وجهات النظر في موضوع الحوار.

ومن المرادفات للحوار كلمة (الجدل) وأصل الجدل في عمومته حوار، وقد ورد في القرآن الكريم (٢٩) مرة، وقد ورد الجدل بمعنى المخالفة والمنازعة في الرأي، وعلى العموم فاستعماله في القرآن ينقسم إلى قسمين: المحمود: الذي يقصد به الحق، ويستعمل به الصدق، والمذموم: ما أريد به المماراة والغلبة وطلب الرياء

^٤ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٩٩٩م. جامع البيان في تأويل القرآن. ط ٣. بيروت: دار الكتب العلمية. ١٢م ج ٢٨ ص ٧.

^٥ أحمد حسن يوسف و العمري، صالح محمد أحمد. ٢٠٠٦م. الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة. أريد: دار الكتاب الثقافي. ص ١٢.

^٦ نور الدين عادل. ٢٠٠٧م. مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية. الرياض: مكتبة الرشد. ص ٧٠.

والسمعة أو بغير علم، ومدح القرآن ما هو محمود، وذم الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ العنكبوت: ٤٦، وقال: ﴿وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ غافر: ٥، وأمثلتها كثيرة في القرآن. ٧، وهو في النهاية حوار كلامي يدور بين فريقين لكل منهما وجهة نظر متباينة، ومثلها المحاججة كقوله تعالى: ﴿وَحَاجُّهُ قَوْمُهُ قَالُوا أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ الأنعام: ٨٠. ولكن كلمة الحوار تتسع لكل أساليب التخاطب سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحى بالخلاف أو يوحى به.. فكل جدل حوار ولكن ليس كل حوار جدل، وكثرة تكرار الجدل في القرآن يرجع إلى الواقع الذي عاشته الأديان السماوية، وما واجهه الأنبياء عليهم السلام من تحديات ٨، ويضيف بعض الدارسين أن السبب في ذلك استخدام الكلمة في قضايا متعددة تتعلق بأمور العقيدة والتشريع والحياة الاجتماعية، والقضايا الفكرية العامة حول الإنسان والحياة والكون ٩ والحوار العاقل: "هو الذي يقوم على أساس راسخ، ويعتمد وسيلة سليمة، ويهدف إلى غاية نبيلة، وارتباط الحوار بمعنى الرجوع عن الشيء إلى الشيء، يثبت في الضمير الإنساني فضيلة الاعتراف بالخطأ، ويركز على قيمة عظمى من قيم الحياة الإنسانية، وهي القبول بمبدأ المراجعة، بالمفهوم الحضاري المطلق الذي يتجاوز الرجوع عن الخطأ إلى مراجعة الموقف برمته، إذا اقتضت لوازم الحقيقة وشروطها هذه المراجعة، واستدعى الأمر إعادة النظر في المسألة المطروحة للحوار على أي نحو من الأنحاء وصولاً إلى جلاء الحقيقة" ١٠.

٧ انظر مثلاً الآيات: النساء: ١٠٧، الأعراف: ٧١، الكهف: ٥٦، الحج: ٣، ٨. ٨ انظر التفاصيل في: نور الدين عادل. ٢٠٠٧م. مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية ص ٦٣، والعليان، عبد الله علي. ٢٠٠٤م. حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين. ص ١١-١٥. ٩ عجل، بسام داود. ١٩٩٨م. الحوار الإسلامي المسيحي. عمان: دار قتيبة. ص ٢٤. ١٠ التويجري، عبد العزيز بن عثمان. ١٩٩٨م. الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق. ص ١٣.

وهناك مفردات أخرى في هذا المعنى وهي: المناظرة والمخاصمة والممارة والخلاف، ولكل مدلولها المختلف لغة وشرعاً^{١١}، كما أنني أرى علاقة بين الحوار وبين مبدأ الشورى في الإسلام، لأن الغاية فيه الوصول إلى أحسن الرأي من خلال التحوار وعرض الآراء في المشاورة.

٢ - أهمية الحوار ومشروعيته

تعود أهمية الحوار إلى إيجاد أرضية مشتركة بين طرفين أو أطراف متعددة مختلفة، لينطلقوا إلى ما فيه من مصلحة للجميع على أسس تضمن للجميع حقوقهم، حيث قضت الحكمة الإلهية أن جعل الناس مختلفين تتعدد آراؤهم وأفهامهم، وتتنوع عقائدهم ومعارفهم، فجاء الحوار وسيلة من وسائل التقارب والتعارف والتعاون بينهم.

وتشهد نصوص القرآن على أهمية التعرف على الآخر والاتصال والاحتكاك به في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ الحجرات: ١٣ وفي الوقت نفسه تشهد النصوص على أن الاختلاف بين البشر سنة كونية في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ...﴾ هود: ١١٨، وطلب الحوار بين المختلفين لا يتم إلا بالحوار الهادف القائم على ضوابط تستنبط من روح الشرع والاقتداء بالرسل والأنبياء في تعاملهم مع الآخرين، من أجل التغلب على الاختلاف وتقريب وجهات النظر، وإيجاد أرضية مشتركة في التفاهم تكون قاعدة للانطلاق في الحوار بالكلمة الطيبة وبالمبدأ القرآني ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥

١١ انظر شرح هذه المدلولات: الشيخلي، عبد القادر. ٢٠٠٣م. ثقافة الحوار في الإسلام. الرياض: مؤسسة الإمامة. وراجع: أحمد حسن يوسف و العمري، صالح محمد أحمد. ٢٠٠٦م. الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة. ص ١٤ - ١٥.

فالاختلاف بين البشر سنة فطرية وقضاء إلهي مرتبط بالابتلاء والتكليف الذي تقوم عليه خلافة الإنسان في الأرض، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ المائدة: ٤٨، يقول تعالى ذكره: ولو شاء ربكم لجعل شرائعكم واحدة، ولم يجعل لكل أمة شريعة ومنهاجاً غير شرائع الأمم الأخرى ومنهاجهم، فكنتم أمة واحدة، لا تختلف شرائعكم ومنهاجكم، ولكنه تعالى ذكره يعلم ذلك، فخالف بين شرائعكم ليعتبركم فيعرف المطيع منكم من العاصي والعامل بما أمره في الكتاب الذي أنزله إلى نبيه ﷺ من المخالف "١٢، وقال تعالى كذلك: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَالًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوَكُمْ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ النحل: ٩٢-٩٣، والواقع يشهد في كل مراحل الزمن على وجود هذا الاختلاف والتعددية بين البشر، ولا بد إذن من آلية للتعامل في ظل ذلك لتجنب المخاطر، فكان الحوار أهم تلك الآليات لأنه يكشف عن مواطن الاتفاق ومثار الاختلاف ويعالجها ليؤدي الحوار وظيفته ضمن منهج وضوابط محددة.

وحيث أرشدنا القرآن الكريم - كما في الآيات السالفة - إلى أن الاختلاف حقيقة وواقع، ودعانا إلى التعامل مع هذه الحقيقة من خلال الحوار، ورسم لنا خطة ومنهجاً ووضع قواعد وضوابط يمكن استنباطها من الحوارات المختلفة في القرآن الكريم، وأكثر ما يبرز ذلك في القصص القرآني، حيث كان

١٢ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٩٩٩م. جامع البيان في تأويل القرآن. ٤م ج ٦ ص ٦١٢.

القاعدة الأساسية في دعوة الناس إلى الإيمان بالله وعبادته، وفي حل الخلافات بين الإسلام وأعدائه، مؤكداً هذا المبدأ بطرق عديدة، كحوار الله مع الملائكة وإبليس، ومع خلقه بوساطة الرسل، وحوار الأنبياء مع أقوامهم من المشركين والملحدين، وحوار الرسول ﷺ مع المؤمنين والمنافقين، والهدف من ذلك كله إظهار الحق ومعرفة الحقيقة، حتى ليجد القارئ كتاب الله حواراً مع البشرية جمعاء في كل زمان ومكان يخاطب الناس ويذكرهم بخالقهم، ويدعوهم بأسلوب فريد إلى الإيمان به وتوحيده وعبادته وشكره دون قهر أو إكراه، بل بالقناعة العقلية واليقين القلبي، والإرادة الحرة.

ولذلك نجد الحوار في القرآن يشكل محوراً أساسياً في أبنيته ومضامينه، دالاً على أهميته، لكونه خاتم الكتب لخاتمة الأديان، وقد أقام له أساساً راسخاً نجد أثره في ممارسات النبي ﷺ العملية وسنته التطبيقية، وما دأب عليه أصحابه ومن بعدهم رضوان الله عليهم جميعاً.

وفي تدبر آيات الحوار في القصص القرآني "يتبين لنا أهمية الإنسان المحاور الذي ينبغي أن يعرف كيف يصل إلى عقل الإنسان الآخر بأقصر الطرق... لقد كان الحوار أسلوب الأنبياء عليهم السلام، به استطاعوا النفاذ إلى قلوب الناس بالحكمة البالغة والموعظة الحسنة، وقد بينوا لنا أسلوب الحوار الهادئ والهادف الذي يلتزم العرض والاقناع مع الإيضاح والبيان بكل رفق وتلطف، فلم يكن حوارهم مع أقوامهم حوار الإكراه أو الإكراه أو القسر والقهر، بل كان حواراً يحترم الفكر والشعور ويستعمل ألين العبارات في الدعوة والبحث عن قاعدة للقاء

كيفما كانت: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ آل عمران: ٦٤. ١٣

والمنظور القرآني للحوار ينطلق من المبادئ السامية التي تدعو إلى الكلمة السواء القائمة على العدل والإنصاف والقبول بالاختلاف، والتي هي في الأصل سنة كونية في القضايا المشتركة مما يجعله ضرورة من الضرورات التي يقتضيها سير الحياة.

ومشروعية الحوار ثابتة بنصوص قرآنية وأحاديث نبوية، وهو سلوك فتحه الصحابة والتابعون والعلماء بعد ذلك باعتباره أمراً إلهياً، فقد مارس المسلمون الحوار فعلياً على مستويات مختلفة مع شتى الحضارات والديانات التي تختلف في فكرها وفلسفتها مع الرسالة السماوية، لكن المشروعية الإسلامية ضمت هذا الحوار واعتبرته فريضة ومنهاجاً..^{١٤}

ومن مظاهر اهتمام القرآن بمشروعية الحوار نرى أن القرآن يستعرض الرأي الآخر المخالف رغم أنه باطل وضلال، وليس له حظ من الصواب من مثل جدال الملحدين والمشركين والمنافقين وأهل الكتاب، حتى نجد فيها أعظم القضايا التي تخص العقيدة وأخطرها، ومع ذلك فقد حاور المخالفين ورد على حججهم الواهية بالدليل والحجج الدامغة، مما يدل على حض القرآن على الحوار لإظهار الحق.

وقد أكد القرآن هذا المبدأ بطرق عديدة، فعرض القرآن لحوار الله مع خلقه بوساطة الرسل، وكذا مع الملائكة ومع إبليس، رغم أن الله تعالى يمتلك القوة ويكفيه أن يكون له الأمر وعليهم الطاعة، كما أن دعوات الرسل كلها كانت محكومة بالحوار مع أقوامهم، وقد أطل القرآن في عرض كثير من إحدائيات هذه الحوارات بين الرسل وأقوامهم، ولم يشجب القرآن في هذا الباب موقفاً كما شجب موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته: ﴿وَيُلِّكُ أَفَّاكَ أَثِيمٌ﴾،

^{١٤} العليان، عبد الله علي. ٢٠٠٤م. حوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين. ص ٢٠.

يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوءًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٧-٩﴾ **﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمِلْ إِنَّا عَامِلُونَ﴾** فصلت: ٥، **﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوءًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ، وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَن فِي أُذُنِهِ وَقْرًا فَبَشَّرَهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** لقمان: ٦-٧.

ومما لا شك فيه أن أكثر المواطن التي يتجلى فيها الحوار في القرآن هو القصص، حيث أن للقصة في القرآن طريقتين:

١- طريقة عرض الأحداث بشكل تقريرى ينتقل فيه الحدث من مرحلة إلى مرحلة حتى يبلغ نهايته.

٢ - طريقة الحوار الذي يحاول أن يمثل فيه كل طرف من أطراف القصة، ولكل بطل من أبطالها دوره الذي يعبر عنه بأسلوب واضح، ويثير فيه بعض القضايا التي يقف إزاءها البطل الآخر ليعبر عن دوره بكل أمانة ووضوح... وتتجلى قيمة الطريقة الحوارية في تبسيط الفكرة في جميع مجالاتها، كما أنها تجسد المواقف للتاريخ الرسالي الذي يراد له أن يرتبط بالحاضر.. ١٥

ومن خصائص الحوار في القصة القرآنية أنه حوار واقعي، فهو يجري على ألسنة المتحاورين مما يتناسب و شخصياتهم، ولا يناقض طبيعة تفكيرهم، ومستوى إدراكهم.. ١٦

١٥ انظر : مطاوع، سعيد عطية. ٢٠٠٦م. الإعجاز القصصي في القرآن. القاهرة: دار الآفاق العربية. ص ١١٠.
١٦ جرار، مأمون فريز. ١٩٩٨م. خصائص القصة القرآنية. جدة: دار المنارة. ص ٨٥.

المبحث الأول: آداب الحوار في قصص القرآن

للحوار مع الآخر آداب وقواعد ينبغي الالتزام بها لتحقيق الهدف المنشود

من الحوار ومن أهم هذه الآداب:

أولاً: مراعاة آداب الكلام

للكلام آداب ترتبط ارتباطاً وثيقاً بآداب الحوار، ذلك لأن كل حوار كلام والوقوف على هذه الآداب في الكلام يوضح حدود آداب الحوار فمن ذلك ما يأتي:

١ - القول السديد والتزام الحق وعدم التناقض، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ الأحزاب: ٧٠ وكذلك ينبغي ألا تتناقض أقوال المحاور مع بعضها، فإذا تعارض كلامه مع بعضه صار ساقطاً لا حجة له ولا قيمة، ومن أمثلة ذلك قول المشركين للنبي ﷺ حين يرون الآيات الباهرات "سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ"، مما ذكره تعالى في قوله: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ* وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ القمر: ١-٢، ففي قولهم هذا تعارض وتهاافت ظاهر لا يستحق رداً وذلك لأن من شأن السحر كما يعلم المشركون أن لا يكون مستمراً، ومن شأن الأمور المستمرة ألا تكون سحراً، أما أن يكون الشيء الواحد سحراً ومستمراً معاً فذلك جمع بين أمرين متضادين لا يجتمعان ١٧، ومثل ذلك تذبذب قولهم في الرسول ﷺ حيث وصفوه مرة بالكاهن وأخرى بالساحر وثالثة بالشاعر ولا يكون الكاهن ساحراً، ولا الشاعر كاهناً، وكذلك جاء وصف فرعون لموسى حيث قال عنه: ﴿سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذاريات ٣٩، وهذان أمران كاد أن يكونا متضادين، فمن غير المقبول أن يكون الشخص الواحد ذو الصفات

١٧ الميداني، عبد الرحمن حبنكة. ١٩٩٣م. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. ط ٤ دمشق: دار القلم ص ٣٦٨.

الواحدة مترددا بين كونه ساحرا وكونه مجنونا^{١٨}، وكذلك يظهر التناقض فيمن استدل على إنكار رسالة محمد ﷺ لأنه بشر لزعمهم أن الاصطفاء لا يكون إلا للملائكة، مع أنهم يعتقدون بالرسل السابقين وليسوا بملائكة، فأسقط الله دعواهم بأن كل الرسل من قبله بشر فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ الفرقان: ٢٠

٢ - أن تكون الأسئلة الموجهة من المحاور معقولة ومقبولة، وينبغي:

أ- ألا تكون بقصد التعجيز، كالسؤال عن الغيبات التي لا يعلمها إلا الله، كالسؤال عن الساعة، قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ الأعراف: ١٨٧. ومن الغيبات التي هي السؤال عنها ذات الله سبحانه وتعالى، قال ﷺ: "لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال: هذا خلق الله الخلق، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئا، فليقل: آمنت بالله"^{١٩}، ومثله السؤال عن الأغلوطات وهو للتعجيز، في المسائل الدقيقة التي لا يقصد بها في التحاور الوصول للرأي الصائب، ولكن بهدف إيقاع المسؤول في الخطأ، وإحراجة أمام الناس، فعن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَى عَنْ الْغُلُوطَاتِ^{٢٠}، والمعنى كما جاء في عون المعبود: أنه ﷺ نَهَى أَنْ يَعْتَرِضَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ بِقَصْدِ إِيقَاعِهِمْ فِي الزَّلَلِ، ومنه قول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "أَنْذَرْتُكُمْ صَعَابَ

^{١٨} راجع: الفتاوي، تيسير محبوب. ١٩٩٩م. الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع. عمان: مركز الكتاب الأكاديمي. ص ٣٩.

^{١٩} مسلم بن الحجاج (د.ت). الجامع الصحيح، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث، كتاب الإيمان، باب رقم ٦٠، رقم (١٣٤) ج ١ ص ١١٩.

^{٢٠} أبو داود (د.ت). سنن أبي داود. تحقيق: محمد يحيى الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر، كتاب العلم، باب رقم ٨، رقم (٣٦٥٦)، ج ٣ ص ٣٢١. وأحمد. مسند أحمد. (د.ت). مصر: مؤسسة قرطبة. برقم (٢٣٧٣٧، ٢٣٧٣٨) ج ٥ ص ٤٣٥، وجاء في بعض طرقة (الأغلوطات) وزاد الإمام أحمد: وقال الأوزاعي: الغلوطات شدة المسائل وصعابها، وكذلك الهيثمي، نور الدين. ١٩٩٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (زوائد الهيثمي). تحقيق: حسين أحمد صالح البكري. المدينة المنورة: مركز خدمة السنة والسيرة النبوية. ج ١ ص ٢٠٢.

المنطق"، يريد بذلك المسائل الدقيقة الغامضة ٢١.

ب- ألا يكون السؤال عما لم يقع، أو قبل أوان استحقاقه، ففي قصة موسى مع الخضر: ﴿فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾، فلما سأل موسى أنكر الخضر عليه حتى اعتذر وقال ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ فلم يصبر حتى سأل المرة الثالثة فكان رد الخضر عليه ﴿قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ الكهف: ٧٠، ٧٣، ٧٨. لأن السؤال عما لم يقع يشغل الناس عما هو واقع.. ٢٢، وعلى هذا يكون السؤال مستوفيا شروطه، بأن يكون من صميم المحاور، وليس غريبا، ودقيقا لا يتحمل معاني أخرى، وأن يكون لغرض الاستزادة من العلم ٢٣.

٣ - تجنب الجدل المذموم، وضرورة تحديد الهدف من الحوار، وأن يكون الجدل فيما يقرر الحق والدعوة إلى سبيل الله والذب عن دينه.

فالجدل المحمود أحيانا يكون واجبا كالجهد في سبيل الله إذا كان السبيل إلى دين الله لا يتأتى إلا به، أما حين يكون الجدل هوى في النفس وسيلا إلى محاولة الظهور والعلو بالباطل فهو كالجدل المذموم.. ٢٤، والذي سماه القرآن الجدل بالباطل في قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ الكهف: ٥٦.

٢١ العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق. ١٤١٥هـ. عون المعبود شرح سنن أبي داود. بيروت: دار الكتب العلمية. ط ٢. ج ١٠ ص ٦٤. وانظر قول ابن مسعود في: الهيثمي، نور الدين. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد. ج ١٠ ص ٣٠٦.
٢٢ انظر: عودة عبد عودة عبد الله. ٢٠٠٥م. أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية في ضوء القرآن الكريم. الأردن: دار النفائس ص ٢٧٦-٢٧٩.
٢٣ انظر: الشيخلي، عبد القادر. ٢٠٠٣م. ثقافة الحوار. الرياض: مؤسسة الإمامة. ص ١٥٥.

٢٤ راجع: الرازي، فخر الدين. ١٩٩٣م. مفاتيح الغيب. بيروت: دار الفكر. ج ١٣ ص ١٨، حول القول بمشروعية الجدل لإظهار الحق مستدلا بنصوص قرآنية.

ومن الجدل المذموم الأسئلة الموجهة من المحاور بقصد الترف الذهني والعبث، وهو الذي لا يترتب على معرفة جوابه فائدة، كالسؤال عن أسماء أهل الكهف وعددهم واسم كلبهم، وعن نوع الشجرة التي أخذ منها موسى عصاه، مما يضطرهم إلى الرجوع إلى إسرائيليات لا دليل على صحتها. ومثله السؤال للسؤال ذاته للتurf الفكري النظري،... والإسلام دين عملي سلوكي، كما ينبغي إلا يكون للمكايمة بهدف الاستعلاء على الآخرين، وإظهار قلة علمهم.

ثانياً: اتباع أسلوب الحكمة (بالتى هي أحسن)

لما كان القصد من الحوار الوصول إلى الحق، فلا بد أن يتصف الحوار بأسلوب الحكمة، كما قال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ النحل: ١٢٥، وقد جاءت الموعظة من الله تعالى، هدى ورحمة للمؤمنين، وقد تكون من الرسل عليهم السلام لمن أرسلوا إليهم، وقد تكون من الوالد للولد كموعظة لقمان لولده، ومن الولد للوالد كإبراهيم عليه السلام لوالده.

ويندرج تحت الحكمة صور متعددة وقد يكون لكل محاور أسلوب يتناسب معه يحاول فيه المحاور إيجاد قواسم مشتركة يبدأ منها، محاولاً إثارة العاطفة وتوجيه الاهتمام بالمقابل والخوف عليه، ونجد كل ذلك في حوار نوح عليه السلام مع قومه، في قوله تعالى: ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ... وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلَاقُوا رَبِّهِمْ وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ... وَيَا قَوْمِ مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ هود: ٢٥-٣٠، ونوح عليه السلام يظهر الشفقة على قومه وحرصه على أن يذعنوا للحق ٢٥.

كما يلفت المحاور النظر في القصص القرآني للتذكير بأنعم الله وإلى آيات الأنفس والآفاق، كما جاء في حوار النبي صالح عليه السلام مع قومه ثمود في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ الأعراف: ٧٤، وما جاء في حوار النبي ﷺ مع قومه وذكرهم بأن الله جعلهم خلفاء لمن قبلهم ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ يونس: ١٤

ومنه الدعوة إلى النظر والتفكر في رفق وأدب، وترك الطرف الآخر يصل إلى الحق الذي تريد مما يظن معه أنه هو الذي اكتشفه فيكون أكثر إقبالا عليه، كقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ* قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ: ٢٤-٢٦.

كما يلزم احترام الطرف الآخر وعدم الإساءة والتجريح أو الاستعلاء على الآخرين، لأن تبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، كما أن مراعاة الخصم وعدم إسقاطه أو تجاهله سوف يعزز مفاهيم الحوار، كما إن الإسقاط يؤدي إلى نتائج سلبية قد يصل الأثر فيها إلى الموضوع والآخرين أيضاً، والقرآن يوجهنا إلى ضرورة مراعاة هذا الإلزام الأدبي مهما كان نوع الطرف الآخر، قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ الأعراف: ٨٥، ويرى القرضاوي أن من الدعائم الأساسية في آداب الاختلاف الحوار بالحسنى.. "بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" ٢٦.

وقد نبه الدكتور زيدان للعلاقة بين القول الحسن وبين نزغ الشيطان في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَتَرَفُّ بَيْنَهُمْ إِنَّ

٢٦ القرضاوي، يوسف. ١٩٩٥م. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفريق المذموم. ط ٤. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع. ص ١٤٦.

الشَّيْطَانُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٥﴾ الإسراء: ٥٥، فقال: "إن الله أمر المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة، لأنهم إن لم يفعلوا ذلك نزع الشيطان بينهم.." ودعا إلى الكلمة الطيبة فيما بين الدعاة المسلمين أنفسهم، وفيما بينهم وبين غيرهم من الجماعات في الساحة الإسلامية ٢٧.

وأسلوب الحكمة ليس ثابتا بل ربما يتغير حسب نوع المتحاورين، ويرى البعض أن "الدعوة بالحكمة تعني تغيير الأسلوب حسب المقام، فمن أصلحته الكلمة الطيبة فلا يصار إلى غيرها، ومن أصلحته الكلمة الخشنة فهي الحكمة في هذا الموضع والله أعلم" ٢٨.

ثالثاً: التزام الموضوعية وعدم التعصب والجمود ٢٩

تتحقق الموضوعية بعدم الخروج من الموضوع محل الخلاف والتزاع لأن الآفة في الحوار عند المناقشة خلط الأوراق وإضاعة الحقيقة في خضم الفروع التي لا تكاد تعرف لها أصلاً، فإذا نظرنا إلى ما دار من حوار بين الرسل عليهم السلام وبين أقوامهم نرى أن الرسل كان جوابهم على أقوامهم منتزعا من أقوال هؤلاء المخالفين دون الخروج عن موضع التزاع، ننظر مثلاً إلى ما حكاه القرآن عن قوم نوح عليه السلام وما ردّ به عليهم حيث يقول: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ فيأتي الرد بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الأعراف، ٦٠-٦٢.

٢٧ زيدان، عبد الكريم. ٢٠٠٥م. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة. بيروت: مؤسسة الرسالة، ج ١ ص ٨٤، و ١٠٤-١٠٥.

٢٨ جريشة، علي. ١٩٩١م. أدب الحوار والمناظرة. القاهرة: دار الوفاء. ص ٨٥.

٢٩ انظر: طنطاوي، محمد سيد. ٢٠٠٢م. أدب الحوار في الإسلام. القاهرة: نخبة مصر.

ص ٢٣-٢٤.

وفي الحوار الذي دار بين قوم هود وهود عليه السلام حيث يقولون له: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ فيرد عليهم بقوله: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾* أبلغكم رسالات ربي وأنا لكم ناصح أمين﴾ الأعراف ٦٦-٦٨ والقرآن في حوارهم مع أهل الكتاب يبدأ من نقاط الالتقاء في جداله معهم، وذلك لتذكيرهم بأنهم من أهل الكتاب الأول، وأن ما جاء في كتبهم متفق تماما مع ما جاء في القرآن الكريم من أصول التوحيد وأركان الإيمان... وقد ورد الخطاب إلى أهل الكتاب ما يزيد على ١٢ مرة^{٣٠}.

ولنستمع إلى القرآن وهو يحكي جانباً من الشبهات التي أثارها المشركون مع الرسول ﷺ وكيف رد عليها قال ﷺ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ* قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف ٢٨-٢٩، فالقرآن يرد زعمهم بنسبة الفواحش إلى الله لأنه تعالى عن ذلك بل أمر بالعدل والعبادة الحقّة.

ومن الموضوعية عدم التعصب للرأي، والرضا والاعتناع والتسليم للحق، لأن التعصب يؤدي إلى العصبية المقيتة، وقد ورد في القرآن موقف إبليس من أمر الله تعالى للسجود لآدم، فأبى وامتنع وقال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ الأعراف: ١٢، وهو لذلك أول من ابتدع العصبية، ومن هنا جاء الذم للعصبية في قوله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى﴾

^{٣٠} أحمد حسن يوسف و العمري، صالح محمد أحمد. الحوار ودوره في الدعوة والتربية والثقافة. ص ١١٤، وراجع: الفتاوي، ص ٣٣.

الفتح: ٢٦، ومثل هذا الموقف ما ورد على لسان فرعون في قوله: ﴿أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ﴾ الزخرف: ٥٢.

ومن الموصوعية والتسليم للحق والاعتراف به ما كان من السحرة مع موسى بعد أن أظهر الله الحق القائم على الدليل والبرهان على يد موسى عليه السلام، فما كان منهم إلا الإيمان بالله سبحانه وتعالى واتباع موسى والخروج على فرعون كما قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَن أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ * وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ * قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ﴾ الأعراف: ١١٧-١٢١.

وقد يكون الإقرار بالحق والتسليم به جماعياً كما كان شأن قوم يونس بعد طول مناظرة ومحاوره دون استجابة ظاهرة، ثم ما لبثوا أن أعلنوا توبتهم بعد إنذار نبيهم بالعذاب الذي أصاب المكذبين من قبلهم.

رابعاً: التزام الصدق والأمانة ٣١

ويتجلى ذلك في موقف موسى عليه السلام الملتزم بالصدق في سورة الشعراء . حين جابه فرعون موسى عليه السلام بما كان له في فضل تربيته، وما كان من موسى عليه السلام في قتل رجل من شيعة فرعون ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ الشعراء: ١٨-١٩، فجاء الرد الصادق من موسى عليه السلام باعترافه بما وقع منه من القتل ولكن ذلك كان قبل تشريفه بالرسالة ﴿قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ﴾ الشعراء: ٢٠، وبهذا الرد لم يجد فرعون إلا أن يحول الكلام إلى موضوع آخر، ويستمر الحوار بينهما

بالطريقة نفسها معزز بالصدق، ويمضي موسى ﷺ على نفس الوتيرة في بيان الحق عن الله ﷻ من غير مداهنة لاسترضاء فرعون.

خامساً: الحرص على التواضع وعدم الغرور ٣٢

ينبغي للمحاور الحرص على عدم التعالي والغرور على الطرف الآخر وإن كان يشعر بالثقة وقوة الحجة،

وظن أن الحق بجانبه، انظر إلى موقف سليمان ﷺ الذي أوتي ملكاً كبيراً لم يكن لأحد مثله، وسماعه للهدد الصغير وقبوله لحجته: ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبِيلٍ نَبِيٍّ يَقِينٍ﴾ النمل: ٢٢ فالصغير يملك حريته في الحوار والكبير يفسح المجال أمام الصغير للكلام بكل حرية، وهذا سر نجاح الأمم في إعطاء كل ذي حق حقه، وقد راعى العبد الصالح حال سيدنا موسى عليه السلام لأنه لم يحط علماً بالمسائل التي وردت عليه مما قصه الله تعالى في سورة الكهف.

ونجد هذا التواضع في خطاب الأنبياء لأقوامهم فالنبي شعيب ﷺ يتميز خطابه بالتواضع والأدب مع قومه إذ يقول لهم بكل رفق ولطف: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ هود: ٨٨

وعلى النحو نفسه كان خطاب الرسول ﷺ لقومه الكافرين حيث يقول بتواضع وحكمة وشجاعة: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ * قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ

عَمَّا تَعْمَلُونَ* قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴿سبَأ ٢٤-٢٦﴾، فالآية تسوي بين الرسول والكافرين في الهداية والضلال، وتصف فعل الرسول دون فعل الكافرين بالإجرام، وهذا منتهى التواضع والنبل في الحوار. وقد قال النبي ﷺ: "الكبر بطر الحق وغمط الناس" ٣٣ فمن التواضع أن تقبل الحق ممن جاء به حتى ولو كان أعدى أعدائك، وتعدّ ذلك ضالتك المنشودة، فأنت باحث عن الحقيقة أليّ وجدتها فأنت أحقّ بها. ومن التواضع -أيضاً- ترك استخدام الألفاظ الدالة على التعالي والكبرياء، وازدراء ما عند الآخرين، كأن يقول: نرى كذا، وعندي، وأنا، وقلت، ونحو هذه الألفاظ.

وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله وغيره من أهل العلم أن إبليس هو الذي قال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ﴾ الأعراف: ١٢، فـ(أنا) هذه المتعاطفة الرادة للحق هي من إبليس، وقارون هو الذي قال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص: ٧٨، فالذي يقول: عندي، وهو ليس أهلاً لذلك شبيه بقارون، وسائر المستكبرين تعاضموا في نفوسهم فردّوا الحق.

وهكذا فالحوار الذي ينطلق من التعالي والغرور بالنفس، والتفاخر والتباهي بالقول لا يأتي بنتيجة مفيدة توصل إلى اتفاق مفيد ونافع بين الطرفين، وإنما تتولد منه نتائج سيئة وعواقب وخيمة، لذلك يحجم كثير من العقلاء عن الحوار مع المغرورين لأنهم يسلكون طريق التهديد والوعيد في حوارهم لا المنطق الرشيد والسديد.

٣٣ مسلم. صحيح مسلم. كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانها، ح (٩١) ج ١ ص ٩٣، الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري. ١٤١١هـ - ١٩٩١م. المستدرک علی الصحیحین. تحقیق: مصطفی عبد القادر عطا، بیروت: دار الکتب العلمیة. کتاب البر والصلة باب اللباس، ح (٧٣٦٧) ج ٤ ص ٢٠٢، وأبو داود في سننه، کتاب اللباس، باب ما جاء في الكبر، ح (٤٠٩١) ج ٤ ص ٥٩، والإمام أحمد في مسنده ح (٣٦٤٤) ج ١ ص ٣٥٨، وح (٤٠٥٨) ج ١ ص ٤٢٧.

سادساً: حسن الإصغاء للحوار والتوقف عند اللجاجة

ساق الله تعالى في كتابه الكريم صوراً متعددة للحوار يظهر فيه إفساح المجال لمن جاهر في المعصية، ألا وهو إبليس الذي عبر عن عناده وغروره، فمن ذلك ما ورد في سورة الحجر من سجود الملائكة لآدم إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين غرورا وحسداً ثم يحكي القرآن الحوار بين الله تعالى وإبليس فيقول: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ الحجر: ٣٢، فجاء رد إبليس على خالقه: ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمِإٍ مَسْنُونٍ﴾ الحجر: ٣٣، وفي آية أخرى قال: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ ص: ٧٦، فالله سبحانه وتعالى أفسح لإبليس المجال للكلام بعد أن أمره بالخروج من رحمته، ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُعْتُونَ﴾ الحجر: ٣٦ وأجاب الله تعالى طلبه فقال: ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ* إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ ، ولم يتوقف إبليس عن الحوار والطلب، ولم يمنعه الله من الكلام فقال إبليس مهدداً ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ الحجر: ٣٩-٤٠، وفي سورة أخرى قال: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَا تَجِدُنِي إِلَّا يَوْمَ عَذَابِ اللَّهِ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ الأعراف: ١٦-١٧، وفي موضع آخر قال ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ* إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ﴾ ص: ٨٢.

وقد قص القرآن الكريم في آيات كثيرة ما قاله المشركون عن الخالق عز وجل وعن رسوله ﷺ، في مطلع سورة ص ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ* أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ* وَانْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ* مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ* أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنْ بَيْنِنَا

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ ﴿٤﴾ ص: ٤-٨، والقرآن يحكي أقوال المشركين بكل أمانة فلم يكتف هذه الأقوال لكنه رد على هذه الأكاذيب بما يدحضها: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ ذِكْرِي بَلْ لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابٍ * أَمْ عَنْدهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ * أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ * جُنْدٌ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ﴾ ص: ٨-١١، وتكرر هذه المواقف من الأنبياء تجاه أقوامهم في حوارهم بالسمع لدعواه وقبول ردودهم ثم بيان وجه الحق ومن ذلك قصة نوح وشعيب، فالإصغاء إلى الآخرين فن قل من يجيده، فأكثرنا يجيد الحديث أكثر من الاستماع، والله سبحانه وتعالى جعل لك لساناً واحداً، وجعل لك أذنين حتى تسمع أكثر مما تتكلم، فلا بد أن تستمع جيداً، وأن تستوعب جيداً ما يقوله الآخرون وعلى المحاور التوقف والانقطاع عن الحوار عند اللجاجة والمرء من الطرف الآخر ومن الأمثلة على ذلك حوار إبراهيم مع النمرود حيث يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ البقرة: ٢٥٨.

فقد حاج إبراهيم في ربه، فذكر له إبراهيم صفة من صفات الله لا يشترك معه فيها أحد ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ فإذا بالخصم يصل إلى اللجاجة، بل الوقاحة فيقول: "أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ" وراح يفسرها تفسيرا هزيعا حين حكم على اثنين بالإعدام ثم عفا عن واحد ونفذ في الثاني، فحاجه إبراهيم بآية كونية يعجز عنها خروجاً من هذا المرء فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ..﴾ فأفحم وبهت.

ومنها توجيه رب العالمين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ

الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾. وقوله: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ النساء: ١٤٠.

وبناءً على ذلك فإذا ما أردنا العودة إلى أسوب الحوار فيما بيننا فلا بد من الوعي بتلك الآداب لأن الحوار في معناه الصحيح لا يقوم ولا يؤدي إلى الهدف المنشود إلا إذا كان هناك احترام متبادل بين أطراف الحوار، واحترام كل جانب لوجهة نظر الجانب الآخر. وبهذا المعنى فإن الحوار يعني التسامح واحترام حرية الآخرين. واحترام الآخر لا يعني بالضرورة القبول به، بل لا بد من تقارب وجهات النظر من أجل التعايش السلمي.

المحور الثاني: ضوابط الحوار في قصص القرآن

يعالج الحوار قضية الاختلاف من خلال كشفه عن مواطن الاتفاق ومثارات الاختلاف؛ لتكون محل النقاش والجدل والتي هي أحسن لمعرفة ما هو أقوم للجميع؛ ولكي يؤدي الحوار وظيفته كما يجب من أن ينضبط بمنهج يضمن عدم تحوله إلى مثار جديد للاختلاف، ومن ثم لا بد من رسم قواعد يسير عليها، ويلتزم الأطراف بالخضوع لما يكشف عنه الحوار من حقائق، فإذا تم فإما أن تصل الأطراف إلى نتيجة واحدة فيكون قد نجح الحوار، وإما أن لا يقتنع أحد الفريقين أو أن يعاند فإنه يمارس حقاً اعتراف به بقبول الحوار، وعندما ينتهي الحوار إلى هذه النتيجة فللمسلم رسالة يختم بها حوارته تتمثل بتذكير الطرف الآخر بأنه مسؤول عما وصل إليه^{٣٤}، وضوابط الحوار مهمة لأنها السياج الذي يحمي

٣٤ حللي، عبد الرحمن. منهج الحوار في القرآن. الشبكة الإسلامية (الأنترنت) ص ٢.

حركة الحوار، وعدم مراعاتها يحدث مخاطر كثيرة على الدعوة والدعاة، وهي تختص بالمحاور المسلم وفق القواعد الأخلاقية الإسلامية^{٣٥}، ومن خلال استقراء حوارات القصص القرآني يمكن استنباط الضوابط الآتية:

أولاً: تحديد الهدف من الحوار

إن اشتمال القرآن الكريم على هذه الوفرة الغزيرة من القصص الواعي المحكم ليدل على الأهمية الكبيرة والمكانة العظيمة للقصة القرآنية وقيمتها في التوجيه النفسي والهداية إلى الحق والطريق المستقيم محققة الأهداف المرسومة لها، والحوار الذي تضمنته القصص هو تاريخ لمسيرة الدعوة بكل تفاصيلها، وفي مجملها تنشد أخذ العبرة من تلك المحاور كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يوسف: ١١١. ويلاحظ سمو الأهداف التي ينطوي عليها الحوار في القصص القرآني، وينبغي المحافظة على الهدف أثناء الحوار لأن ذلك يحفظ الوقت والجهد ويعزز احترام الطرف الآخر، وعلى رأس هذه الأهداف:

أ- **الدعوة:** فكل الحوارات هدفها الأول الدعوة، والتي تتضمن إثبات الوحي والرسالة التي أشار إليها تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ يوسف: ٣-٢، ومن ثم التوجيه والإرشاد لما تضمنته هذه الحوارات من توجيهات دينية، بتحقيق دعوة السماء إلى الأرض من الإيمان بالله ورسله وشرح العقائد، والترغيب والترهيب وما فيه من معنى تهذيبي إصلاحي، كما تهدف إلى إظهار وحدة الدعوة بين

^{٣٥} حدة سابق. ٢٠٠٧م. ضوابط الحوار الإسلامي المسيحي. الجزائر: دار الفجر للطباعة والنشر. ص ٦٣.

الأنبياء والتي بدورها تدل على وحدة المصدر، وتشعر هذه الحوارات في القصص القرآني أن الأنبياء جميعاً عليهم السلام جاءوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على مر الأجيال وهي توحيد الله بقولهم: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ كما جاء في الأعراف وهود والشعراء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ... وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ* قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَادِبِينَ... وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذْكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ...﴾ الأعراف ٥٩-١٥٠.

ونرى المحاورات القصصية تهدف في المقام الأول للدعوة إلى الدين بأساليب شتى، كالدعوة إلى التفكير والتحذير من الغواية واتباع الشيطان، مستثيرة العواطف والعقول بالبراهين العقلية وطرح الأسئلة التي تحاصر الجانب الآخر ليسلم - وإن كابر- بصدق الداعي، ففي قصة إبراهيم مثلاً وحواره مع أبيه تستمد الدعوة أسلحتها من الحكمة ﴿وَإِذْ كَرَّ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا* يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا* يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا* قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا* قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا* وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلا أكون بِدُعَاءِ

رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا * وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠-٤١﴾
مريم: ٥٠-٤١.

تبدو في هذه الحلقة من القصة شخصية إبراهيم الرضي الحليم، تبدو وداعته وحلمه في ألفاظه وتعبيراته وفي تصرفاته ومواجهته للجهالة من أبيه، كما تتجلى رحمة الله به وتعويضه عن أبيه وأهله والمشركين ذرية صالحة تنسل أمة كبيرة، فيها الأنبياء وفيها الصالحون .. ٣٦

فقله: "وَأَذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ..". التذكير هنا إغراء وسلوى للرسول ﷺ، ثم إنه التذكير بإبراهيم عليه السلام بالذات لأنه أبوهم، ولأن المشركين مقرّون بنبوته ورسالته، فهي نقطة اتفاق يضعها الداعي بين أيدي المدعويين ليلتقوا معه عليها، فيكون ذلك أدعى للإصغاء إليه والإقبال عليه، ثم تلخص الآية الكريمة عناصر القوة في شخصيته: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾.. إذاً فهو يتقدم ساحة الدعوة ومعه أسلحته.. إيمانا وخلقاً وحكمة، ومن مظاهر حكمته عليه السلام مناداته لأبيه: يا أبت.. بما تحمله زيادة التاء من زيادة بر ومودة، مع تكرارها ليخفف حدة والده، ثم يتجه إلى مخاطبة عقل أبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾.. ثم إلى وجدان أبيه ليهزه بعمق: ﴿يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرُّسُلِ عَصِيًّا﴾.. ٣٧ ولكن هذه الدعوة اللطيفة بأحب الألفاظ وأرقها لا تصل إلى القلب المشرك القاسي، فإذا أبو إبراهيم يقابله بالاستنكار والتهديد والوعيد بالرحم والمهجر، ومع ذلك لم يغضب إبراهيم الحليم ولم يفقد بره وعطفه وأدبه مع أبيه بل وعده بأن يستغفر له ويدعو له بالهداية، وفي النص دروس أخرى كثيرة تدخل في آداب الحوار.

٣٦ سيد قطب. ١٩٨٥م. في ظلال القرآن القاهرة: دار الشروق. ج ٤ ص ٢٣١١.
٣٧ مطاوع، على سعيد عطية. الإعجاز القصصي في القرآن. ص ١٣٣.

ب - التريية: فالحوارات في القصص القرآني متناسقة في منهجها التربوي مع منهج القرآن، فهي تطبيق بالمثل الحي لهذا المنهج المتكامل... فبحوارية العرض في القصة، وقوة التخيل والتصوير فيها، وتهيئة اللحظة الحاسمة التي تبلغ فيها حرارة الانفعال النفسي درجة الانصهار يحصل من التأثير بالتوجيه التربوي ما لا يحصل عند إقحام ذلك التوجيه على النفس وهي في راحتها واسترخائها، أو في إنطلاقها وتحررها.. ولذلك كان للقصة القرآنية دور عظيم في تربية العقيدة وتعهدتها وتنميتها، إذ ليست الغاية من التربية سوى تكوين العواطف الصالحة، ولكن هذه العواطف لا تصبح أساساً للخلق الكريم إلا إذا تحولت إلى اتجاهات يكون ينبوعها الدائم هو العقيدة مصدر الإيمان والخير والأمن.. ٣٨ ويتجلى الغرض التربوي في جل الحوارات القرآنية حيث يمتزج مع الهدف الدعوي أحيانا وينفرد أحيانا، ومن أمثلة ذلك القصص المتفرقة كقصة أصحاب الأخدود وأصحاب الكهف وابني آدم وصاحب الجنتين.. "وهي القصص الوعظية البحتة" ٣٩.

لقد واجه إبراهيم عليه السلام قومه الجاحدين المشركين بحجة ألهمه الله إياها وهي أن من يخلص لله لا يخاف من دونه، فهو أحق بالاطمئنان والأمن من الملحد والمشرک: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام: ٨١-٨٢، ومما يتصل بالهدف التربوي هو إظهار التوكل على الله والاعتزاز به، وهو في ذلك يحقق الأسوة الصالحة الطيبة، ففي حوار الأنبياء مع الكفار نجد فيضا من التوكل يملأ النفس المطمئنة بالعزة بالله واللجوء إليه، ففي قصة نوح مما ذكر في قوله تعالى:

٣٨ انظر: سيد قطب. ١٩٩٣م. التصوير الفني في القرآن. ط ١٤، القاهرة: دار الشروق. ص ١٧١، ١٨١، ١٩٠.
٣٩ المصدر السابق. ص ١٦٨

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَقَامِي وَتَذِكْرِي بآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنظِرُونِ* فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجَرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ يونس: ٧١-٧٢ ومما يتصل بالناحية التربوية في حوارات القرآن تعليم الأدب في الحوار مما ذكر آنفاً.

وقد تجد في حوار القصة في القرآن مجموعة أهداف، ويركز السياق على هدف رئيس، فيكون فيها تدرج في التناول من حيث الأهمية، والحصيلة منها جميعا هو توخي العبرة، ففي حوار بين الله وعيسى في مشهد من مشاهد يوم القيامة يقول تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ* مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ* إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تُغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ المائدة: ١١٦-١١٨. فبعد هذا الحوار الذي فيه توييح للنصارى بالكذب على رسولهم، يخاطب الله عيسى بقوله: ﴿قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ المائدة: ١١٩، يظهر لنا الأهداف متدرجة تتمثل في: بطلان ادعاء النصارى في ألوهية عيسى في مشهد بليغ، وفيه بيان أدب النبوة في الخطاب (سُبْحَانَكَ...) ومن ثم التذكير بأهمية الصدق، وبيان قدرة الله تعالى الذي يفهم من عموم الحوار لقصص القرآن ٤٠.

٤٠ ابن داود، منى بنت عبد الله. ١٩٩٨م. منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني. بيروت: دار ابن حزم. ص ٢١٥-٢١٦.

ثانياً: التزام الحق

ويتحقق ذلك بطرق عدة منها:

١ - أن يستند إلى الحجة والبرهان: لا بد أن يقدم المحاور وسيلة لإثبات ما يدعو إليه، وهي الحجة والبرهان، لأن عدم ذلك يؤدي إلى اللدد في الخصومة، ومن ذلك ما حكاه الله تعالى من زعم اليهود والنصارى أنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهما، بأن طلب منهم الحجة فقال: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ البقرة: ١١١، يوضح معناها الزمخشري فيقول: "هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة إن كنتم صادقين في دعواكم". ٤١

ويلاحظ أن القرآن الكريم يلزم الخصوم في الاحتجاج ويفهمهم من أقرب الطرق وأقواها إلزاماً.

وبعد إلزام الحجة يتجه القرآن إلى الأخذ بيد المعاند إلى الحقيقة، بينها واضحة جلية لا ريب فيها، كما في رده على المشركين حين طلبوا أن يكون الرسول ملكاً: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾ الأنعام: ٨-٩، ومثل ذلك الرد على اليهود ووصفهم بالكذب: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ آل عمران: ١٨٣، ومن ذلك آيات التحدي بالقرآن، والتي أثبتت إعجاز القرآن الكريم..

٤١ الزمخشري، محمود بن عمر. ١٩٩٥م. الكشف عن حقائق غوامض التزويل وعيون الأفاويل في وحوه التأويل. تحقيق: مصطفى حسين أحمد. القاهرة: دار الكتاب العربي. ج١ ص ١٧٨.

٢ - أن يكون الحوار قائماً على العلم، وقد أنكر الله تعالى من يجادل بغير علم فقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّثِيرٍ﴾ الحج: ٨. ومن الأمثلة على التزام العلم من قبل المحاور الملتزم للحق من خلال حوار إبراهيم عليه السلام مع أبيه وهو يدعو للتوحيد فقال: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا* إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا* يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا..﴾ مريم: ٤١

هذه هي اللمسة الأولى التي يبدأ بها إبراهيم دعوته لأبيه. ثم يتبعها بأنه لا يقول هذا من نفسه، إنما هو العلم الذي جاءه من الله فهداه. ولو أنه أصغر من أبيه سنًا وأقل تجربه، ولكن المدد العلوي جعله يفقه ويعرف الحق؛ فهو ينصح أباه الذي لم يتلق هذا العلم، ليتبعه في الطريق الذي هدي إليه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ فليست هناك غضاضة في أن يتبع الوالد ولده، إذا كان الولد على اتصال بمصدر أعلى. ٤٢

ثالثاً: التسليم بإمكانية صواب الخصم

ولا بد لانطلاق الحوار من التسليم الجدلي بأن الخصم قد يكون على حق، فبعد مناقشة طويلة في الأدلة على وحدانية الله تأتي هذه الآية من سورة سبأ: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ آية: ٢٤، فطرفا الحوار سواء في الهداية أو الضلال، ثم يضيف على الفور في تنازل كبير بغية حمل الطرف الآخر على القبول بالحوار: ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ آية: ٢٥، فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجماع

على الرغم من أنه هو الصواب، ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أن الحكم النهائي لله: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ: ٢٦. ٤٣

رابعاً: الحرية الفكرية واستقلالية المتحاورين ومسؤوليتهما:

لا بد أن يمتلك أطراف الحوار حرية الحركة الفكرية التي يرافقها ثقة الفرد بشخصيته الفكرية المستقلة، فلا ينسحق أمام الآخر لما يحس فيه من العظمة والقوة التي يمتلكها الآخر، فتتضاءل إزاء ذلك ثقته بنفسه وبالتالي بفكره وقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمد ويتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر ٤٤.

لذلك أمر الله رسوله أن يحقق ذلك ويوفره لمحاوريه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ﴾ الكهف: ١١٠، و ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ الأعراف: ١٨٨

فإذا امتلك أطراف الحوار الحرية الكاملة فأول ما يُناقش فيه هو المنهج الفكري - قبل المناقشة في طبيعة الفكر وتفاصيلها - في محاولة لتعريفهم بالحقيقة التي غفلوا عنها، وهي أن القضايا الفكرية لا ترتبط بالقضايا الشخصية، فلكل مجاله ولكل أصوله التي ينطلق منها ويمتد إليها: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ البقرة: ١٧٠، ﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا

٤٣ حللي، عبد الر. من. منهج الحوار في القرآن الكريم. موقع الشبكة الإسلامية.

٤٤ المصدر السابق. ص ٢-٣.

إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ، قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا
وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿الزخرف: ٢٣-٢٤﴾.

ومن الحرية الفكرية استقلالية كل منهما ومسئوليته عن نفسه ومصيره،
وهذا ما جاء في سياق حوار النبي ﷺ مع مكذبيه فخاطبه تعالى بأن يقول لهم: ﴿إِن
مَا تُوْعَدُونَ لَأَتَّيِبَنَّ وَأَمَّا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ * قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾، الأنعام: ١٣٤ -
١٣٥، وعلى لسان شعيب: ﴿وَيَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ سَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ وَارْتَقِبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾
هود: ٩٣ ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ، وَانْتَظِرُوا
إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾ هود: ١٢١-١٢٢، ﴿قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنْ
اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ سبأ: ٥٠، ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا
عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ
عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ الزمر: ٣٩-٤٠، إنها مسئولية فردية لا تداخل فيها: ﴿وَإِنْ كَذَّبُوكَ
فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ﴾
يونس: ٤١، ﴿قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ، قُلْ يَجْمَعُ
بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ سبأ: ٢٥-٢٦. يقول الرازي:
" هذا على وجه الإنصاف في الحجة كما يقول القائل: أحدنا كاذب وهو يعلم
أنه صادق، وأن صاحبه كاذب... ومعناه معنى قول المستبصر لصاحبه على صحة
الوعد والإستظهار بالحجة الواضحة أحدنا كاذب وقد عرف المعنى كما تقول:
أنا أفعل كذا وتفعل أنت كذا وأحدنا مخطيء وقد عرف أنه هو المخطيء فهكذا
" وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ " ٤٥

خامساً: الابتعاد عن الانفعال وحق المحاور بعدم الإجابة

من عوامل نجاح الحوار أن يتم في الأجواء الهادئة، لئلا يتعد التفكير فيها عن الأجواء الانفعالية التي تبتعد بالإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكير، فإنه قد يخضع للجو الاجتماعي، ويستسلم لا شعورياً مما يفقده استقلاله الفكري: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطِيَكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ سبأ: ٤٦، فاعتبر القرآن الكريم اتهام النبي ﷺ بالجنون خاضعاً للجو الانفعالي العدائي لخصومه، لذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو والتفكير بانفراد وهدوء.

فإذا لم يعرف المحاور الجواب الصحيح فليس عيباً أن يفصح بعدم علمه بقوله: لا أعلم، أو الله أعلم، ففتية الكهف حينما تساءلوا عن مدة بقائهم في الكهف وتحاوروا فيما بينهم، انتهوا إلى عدم العلم ﴿قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ الكهف: ١٩.

سادساً: الالتزام بالهدوء في ختام الحوار

إذا سار الحوار جاداً وفق هذا المنهج من قبل جميع الأطراف، فلا بد أن يصلوا جميعاً إلى ما التزموا به في بداية الحوار من الرجوع إلى الحق وتأييد الصواب، فإذا رفض المحاور الحجج العقلية كأن لم يقتنع بها، فإنه بذلك يمارس حقاً أصيلاً كفله له رب العزة، وسيكون مسئولاً عن ذلك أمام الله تعالى .

وفي هذه الحالة ينتهي الحوار بهدوء كما بدأ دون حاجة إلى التوتر والانفعال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنْ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ هود: ٣٥، ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ القصص: ٥٥

ولا حاجة في أن يُتَابَعَ الخصم على ما بدر منه من إساءات في الحوار، وليكن العفو والصبر أساساً وخلقاً في التعامل مع الجاهلين: ﴿تُخَذُ الْعَفْوُ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الأعراف: ١٩٩، "اصبر على ما يقولون" طه: ١٣٠، ص: ١٧، ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ ق: ٣٩، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ﴾ السجدة: ٣٠، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ النجم: ٢٩، ﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ المزمل: ١٠.

هكذا يرشد المنهج القرآني في الحوار إلى إنهائه، وأداء رسالة يبقى أثرها في الضمير إن لم يظهر أثرها في الفكر، إنه أسلوب لا يسيء إلى الخصم بل يؤكد حريته واستقلالته، ويقوده إلى موقع المسئولية ليتحرك الجميع في إطارها وينطلقوا منها ومعها في أكثر من مجال.

وإذا عرفنا هذه الأسس القرآنية لنجاح الحوار أو في الأقل عدم تحوله إلى الضد من أهدافه السامية، عرفنا أسباب التردّي والفشل في مختلف الحوارات التي تجري في واقعنا بين المسلمين أنفسهم أو بين المسلمين وغيرهم، فهي حوارات يغلب عليها منطق الوصاية وإثبات الوجود، لذا فهي أبعد ما تكون عن القصد إلى الحق، وهذا طبيعي إذا فقد المحاور أهم أسس الحوار وهو الحرية الفكرية التي يستطيع الفرد من خلالها اتخاذ قراره الفكري. ٤٦

وفي ضوء ما تقدم من الآداب والضوابط من خلال القصص القرآني فنحن بحاجة ماسة إلى تطبيقها وترجمتها على أرض الواقع، والالتزام بما قبل غيرنا سلوكاً عملياً في البيت والمدرسة والعمل وشتى الميادين، ومن ثم مع غيرنا، ومما لا شك فيه أننا لو التزمنا بذلك فسننعم بالسعادة، كما تحققت في القرون الأولى من تاريخ الأمة، ونحني ثمارها في تجنب الفرقة والاختلاف والتقاتل.

٤٦ انظر: حللي، عبد الرحمن. منهج الحوار في القرآن الكريم. الشبكة الإسلامية ص ٥.

الختام:

يتحقق في الحوار ثمرات كثيرة في زيادة الإلفة والمحبة وتعليم الناس الحكمة لأن الكشف عن الحقيقة يجمع الناس ويوحدتهم لمصلحة عليا ويبعدهم عن الخلاف، وفيه تنمية ثقافة الإنسان ومعرفته، وتوجيهه لاستخدام العقل بدلاً من العنف في حل المشكلات، بتفعيل قدرات المتحاورين على الاستنباط والتمييز، والحوار يكشف عن الأفكار الخبيثة وأصحابها في المجتمع، وإلزامهم الحجة الدامغة. وقد توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- ١ - الحوار في القرآن ينطلق من حقيقة وجود الاختلاف الفطري بين البشر، وتأكيداً لحرية البشر، وامتلاكهم الإرادة التي يختبرون على أساسها.
- ٢ - إن الحوار في القرآن وكثرته مع مختلف الفئات يدل على أنه تكليف إلهي للبشر دعا إليه في نماذج حوارهم مع خلقه، وحوار الأنبياء مع أممهم المؤمنين والكافرين، وأساسه ومنهجه التعرف على الحق، وعدم الوصاية على الآخر.
- ٣ - إن هدف الحوار من خلال القرآن عامة وفي القصص خاصة هو الدعوة إلى الله، وترسيخ الإيمان بالله، كما أن للقصص أهدافاً تربوية تساعد في غرس القيم الفاضلة.
- ٤ - يجسد الحوار في القصص القرآني الصراع بين الخير والشر، حيث عرضت القصص صوراً من حياة الرسل وصراعهم مع الملأ من قومهم، وهو سنة إلهية مستمرة بين الدعوة إلى الله والقوى المعارضة.
- ٥ - في الحوار القصصي تتجلى أنماط السلوك السوي والمنحرف ترغيباً في الخير وترهيباً من الشر. كما تترسخ كثير من المبادئ القويمية، وأهمها تفاضل الناس بحسب التقوى دون الاعتبارات الأخرى.

٦ - يتحقق في الحوار معالجة مختلف القضايا العقدية والاجتماعية والانحرافات السلوكية، ببيان عواقبها في حياة الفرد والمجتمع كحوار صاحب الجنتين.

٧ - للحوار الناجح آداب يجب أن يلتزم بها المتحاورون وأهمها: الصدق في القول وإخلاص النية، والقول بالحكمة وبالي هي أحسن، وحسن الإصغاء والاستماع والتواضع والموضوعية، وعدم تحويله إلى جدل مذموم هدفه المخاصمة واللحاجة.

٨ - للحوار الناجح ضوابط يقوم عليها تتمثل في أمور: تحديد هدفه، والتزام الحق والتسليم بإمكانية صواب الخصم، وتوفير الحرية للمتحاورين واستقلاليتهم، والابتعاد عن الانفعال وحسن خاتمته.

وأخيرا نوصي بتوعية الآباء والمربين بضرورة ممارسة الحوار مع أبنائهم وتلاميذهم، وجعل ذلك من الثقافة العامة للمجتمع لتحقيق منهج التفكير السليم.

المصادر والمراجع

- ابن حنبل، أحمد الشيباني. (د.ت). مسند الإمام أحمد. مصر: مؤسسة قرطبة.
- ابن داود، منى بنت عبد الله حسن. ١٩٩٨م. منهج الدعوة إلى العقيدة في ضوء القصص القرآني. بيروت: دار ابن حزم.
- ابن منظور، جمال الدين بن مكرم. ١٩٩٧م. لسان العرب. بيروت: دار صادر.
- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. (د.ت). سنن أبي داود. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: دار الفكر.
- الباري، فرج الله عبد. ٢٠٠٤م. مناهج البحث وآداب الحوار، القاهرة: دار الآفاق العربية.
- البخاري، محمد بن اسماعيل. ١٩٩٣م. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. طه بيروت: دار ابن كثير.
- التويري، عبد العزيز بن عثمان. ١٩٩٨م. الحوار من أجل التعايش. القاهرة: دار الشروق.
- التويري، عبد العزيز بن عثمان. ١٩٩٧م. الحوار والتفاعل من منظور إسلامي. ط منظمة إيسيسكو.
- جرار، مأمون فريز. ١٩٨٨م. خصائص القصة الإسلامية. جدة: دار المنارة.
- جريشة، علي. ١٩٩١م. أدب الحوار والمناظرة. القاهرة: دار الوفاء.
- الحاكم، أبو عبد الله النيسابوري. ١٤١١هـ / ١٩٩١م. المستدرک علی الصحیحین. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الرازي، فخر الدين. ١٩٩٥م. تفسير الرازي (مفاتيح الغيب). تحرير: خليل محيي الدين الميس. بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الزمخشري، محمود بن عمر. ١٩٩٥م. الكشف عن حقائق غوامض الترتيل وعيون الأقاويل في وحوه التأويل. تحقيق: مصطفى حسين أحمد. القاهرة: دار الكتاب العربي.
- زيدان، عبد الكريم. ٢٠٠٥م. الاستفادة من قصص القرآن للدعوة والدعاة. بيروت: مؤسسة الرسالة
- سيد قطب. ١٩٨٥م. في ظلال القرآن، القاهرة: دار الشروق.
- سيد قطب. ١٩٩٣م. التصوير الفني في القرآن. ط ١٤، القاهرة: دار الشروق.
- الشيخلي، عبد القادر. ٢٠٠٣م. ثقافة الحوار في الإسلام. الرياض: مؤسسة الإمامة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير. ١٩٩٩م. جامع البيان في تأويل القرآن. ط ٣. بيروت: دار الكتب العلمية.
- طنطاوي، محمد سيد. ٢٠٠٢م. أدب الحوار في الإسلام. طبعة القاهرة: نخضة مصر.
- عجك، بسام داود. ١٩٩٨م. الحوار الإسلامي المسيحي. عمان: دار قتيبة.
- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق. ١٤١٥هـ. عون المعبود شرح سنن أبي داود. ط ٢. بيروت: دار الكتب العلمية.
- العلواني، طه جابر فياض. ١٩٩١م. أدب الاختلاف في الإسلام. الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي.
- العليان، عبد الله علي. ٢٠٠٤م. حوار الحضارات في القرن ٢١م رؤية إسلامية للحوار. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

- عودة عبد عودة. ٢٠٠٥م. أدب الكلام وأثره في بناء العلاقات الإنسانية. الأردن: دار النفائس.
- الفتياي، تيسير محبوب. ١٩٩٩م. الحوار في السنة وأثره في تكوين المجتمع. ط عمان: مركز الكتاب الأكاديمي.
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري. (د.ت). الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: عماد زكي البارودي وخيري سعيد. القاهرة: المكتبة التوقيفية.
- القرضاوي، يوسف. ١٩٩٥م. الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم. ط ٤. بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري. (د.ت). صحيح مسلم. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث.
- مطاوع، سعيد عطية علي. ٢٠٠٦م. الإعجاز القصصي في القرآن. القاهرة: دار الآفاق العربية.
- الميداني، عبد الرحمن حبنكة. ١٩٩٣م. ضوابط المعرفة وأصول الاستدلال والمناظرة. ط ٤ دمشق: دار القلم.
- نور الدين عادل. ٢٠٠٧م. مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم والسنة النبوية. الرياض: مكتبة الرشد.